

فالمسيحيون والمسلمون إذن، بعملهم الذي يقومون به مما، يستطيعون أيضاً أن يجددوا اليوم الشهادة التي عليهم تأديتها عن الله نفسه، ويعرضوا على رفقاء طريقهم سبيلاً جديداً لاستطلاع سرّ الله وحقيقته. وفي الواقع إذا «استتبوا الخبرات» في خدمة الشباب والأطفال من كل الأعمار، كما في خدمة الموقنين والمرضى والمختضرين، وإذا رفضوا الحروب والاختبارات القاتلة للناس، فلأن الحياة عندهم نعمة من نعم الله، ولأنهم يؤمنون بالله الحي الذي يحب الحياة ويريد أن تعطي كل ثمارها. وإذا قاوموا جميع أشكال التمييز والفرقة (الجنسية أو العرقية أو الثقافية أو الدينية أو القومية) والاستنثار الأناني بالخبرات الطبيعية (فردياً أو جماعياً)، ليضمنوا للجميع من العدالة وتكافؤ الفرص ما هو أفضل، فلأن جميع خبرات الدنيا هي، في نظرهم، نعمة من نعم الله، ولأنهم يؤمنون بالله العادل الكريم الذي يخلق بسمة ويعطي بسخاء.

وإذا ما دافعوا عن جميع الحريات ليعرف الإنسان ويعني أن يكون مسؤولاً تجاه ضميره، وتجاه إخوانه وربّه، فلأن الحرية في نظرهم نعمة من نعم الله، ولأنهم يؤمنون بالله الحرّ «الذي يفعل ما يشاء»، لأنه يحبّ الناس ويلتصم جوارحهم الحرّ. وإذا أشادوا بالحوار سبيلاً لحلّ المنازعات، وعملوا على تشييد مجتمع أكثر أخوة وبالتالي تعدّدياً (على الصعيدين الوطني والدولي) فلأن السلام والوحدة في التنوع هما، في نظرهم، نعمة من نعم الله، ولأنهم يؤمنون بالله الرحمان الرحيم، الذي يغفر ويجمع، ولا يأس أبداً من العصاة ولو كانوا أشدّ الناس عصياناً لمشيئته. وبهذا نفسه، يتمكن المسيحيون والمسلمون المتآلفون في العمل من أن يشهدوا معاً، اليوم، للخلق الحاضرة من قيمة، ولكرامة الإنسان الحقيقية، ولعظمة الله السامية. أوليست مشاركة كل منهم في أشكال هذا التعاون الانساني الضروري، هي، في الوقت عينه، اقتداء بشراً بفعل الله وإظهاراً جزئياً له على عيون الناس أجمعين؟

## ٤ - الاقتداء البشري بالفعل الإلهي

هذا التعاون البشري الضروري، على أنواعه، هو المكان الدائم لهذا الحوار الذي يباشره المؤمنون متكاتفين مع جميع الناس ذوي النية الصادقة، وإن كانوا من الملحدّين أو الكافرين. فعليه أن يقولوا ويفعلوا الكثير ممّا، سواء أكان الأمر متعلقاً بإكمال الخليفة، أم بخدمة البشر أم بالتقدّم والازدهار في المجتمع البشري. إنهم جميعاً مدعوّون الى المشاركة في هذا التعاون اليومي بأنواعه، ولهم فيه مهمة يضطلعون بها، لأنهم يمثلون جميعاً جزءاً لا يستهان به من الاختبار البشري والعمل الديني. وفي الواقع ما يقتضي المسيحيين والمسلمين مثل هذا الالتزام لخدمة إخوانهم إنّما هو إيمانهم بالله، إذ لكل إنسان صلات قوية بالله. فالؤمنون مدعوّون بعملهم عينه الى كشف ذواتهم لإخوانهم في البشرية، لأن عملهم لا يخلو من تشابه خفي مع فعل الله نفسه.

المسيحيون مدعوّون دائماً إلى أن يزدادوا تلاوفاً مع مثال يسوع المسيح الذي يتطلب الكثير منهم إذ قال: «أحبوا أعداءكم وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم لكي تكونوا أبناء آبائكم الذي في السموات، فإنه يطلع شمس على الأشرار والصالحين، ويُنظِر على الأبرار والأئمة... فأنتم إذن كونوا كأهلين كما أن آبائكم السماوي هو كأهل» (متى ٤٤،٥-٤٨). والمسلمون يعلمون، بعد الغزالي، أنه قبل لهم: «تخلّفوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات، التي هي من صفات الإلهية، من العلم والإحسان واللفظ، وإفاضة الخير والرحمة على الخلق، والنصيحة لهم، وإرشادهم الى الحق، ومنعهم من الباطل» (احياء علوم الدين) (٣٨). وهكذا يقودهم العمل نفسه الى نوع من «تبادل الصفات» الذي يشيد به حديث من أجمل الأحاديث القدسية، إذ يقول: «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصره، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها (وقزاده الذي يعقل به، ولسانه الذي